**منهج ابن جني في كتابه (المحتسب)**

مبحث فى علم القراءات الشاذه

إعداد / أحمد محمد سمير

قسم الدعوة وأصول الدين

كلية العلوم الإسلامية – جامعة المدينة العالمية

شاه علم - ماليزيا

[**Ahmedmsamir54@gmail.com**](mailto:Ahmedmsamir54@gmail.com)

**الخلاصة – هذا البحث يبحث فى منهج ابن جني في كتابه (المحتسب)**

**الكلمات المفتاحية – المحتسب، الكتاب، عرض**

* **.المقدمة**

**الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه والتابعين ، سوف نقوم في هذا البحث بمعرفة منهج ابن جني في كتابه (المحتسب)**

* **.عنوان المقال**

**نتحدث عن منهج ابن جني لكتابه (المحتسب)؛ وذلك لأن الكتاب له أهمية عظمى في عرض القراءات الشاذة، فبالأحرى أن نتحدث عن منهج ابن جني في هذا الكتاب العظيم، فنقول: "لقد صدر ابن جني كتابه (المحتسب) بمقدمة موجزة، بيَّن فيها منهجه في النظر إلى القراءات، والغاية التي رمى إليها في كتابه، وأشار إلى صنيع من تقدمه في هذا الميدان، وإلى مصادره التي اعتمد عليها في اختيار قراءاته، ثم شرع بتوجيه الشواذ مبتدئًا بسورة "الفاتحة" مختتمًا بسورة "الناس".**

**كذلك أورد أبو الفتح القراءات مرتبة حسب مواقعها في كل سورة، وكان يبدأ حديثه في كل مرة بإثبات أسماء القراء، كثرًا كانوا أم قلة، ثم يذكر القراءة، مثال ذلك: ومن ذلك قراءة الحسن، وأبي رجاء، وقتادة، وسلام ويعقوب، وعبد الله بن يزيد، والأعمش، والهمذاني، ونادرًا ما يغفل اسم القارئ، وذلك لعدم معرفته إياه، وهو يرتب عادة أسماء القراء حسب تقدمهم، ولكنه لا يدقق في سنوات وفياتهم؛ ففي المثال السابق مثلًا نرى أن الحسن البصري قد توفي سنة مائة وعشر، وأبا رجاء العطاردي سنة مائة وخمسة، وقتادة بن دعامة سنة 117، وسلام بن سليمان الطويل 171، ويعقوب بن إسحاق البصري سنة 205، وعبد الله بن يزيد سنة 213، وهو يرتبهم أيضًا حسب مواطنهم، فهؤلاء جميعًا بصريون، وقد قدم ذكرهم على كل من الكوفيين الأعمش، وعيسى بن عمر الهمذاني، فضلًا عن ذلك فهو دقيق في تحديد القراءات.**

**فهذه القراءة قد قرأ، وتلك رواية، وهذه قراءة متفق على نسبتها إلى فلان، وتلك مختلف في نسبتها إليه، وكانت عبارته السائدة في الإشارة إلى هذا الاختلاف "وقرأ فلان بخلاف".**

**مصادره في إيراد الشواذ:**

**ذكر ابن جني في مقدمة (المحتسب) أن مصادره في الشواذ نوعان:**

**النوع الأول: كتب استقى منها معظم القراءات، وروايات صح طريقها من رواية غيره له. أما الكتب فهي: كتاب أبي علي محمد بن المستنير قطرب المتوفى سنة 206، كتاب (معاني القرآن) للفراء المتوفى سنة 207، كتاب أبي حاتم سهل بن محمد بن عثمان السجستاني المتوفى سنة 250، كتاب (معاني القرآن) للزجاج المتوفى سنة 310، كتاب أبي بكر أحمد بن موسى بن مجاهد المتوفى سنة 324 الذي صنفه في القراءات الشاذة عن القراءات السبعة، قال: "على أننا ننحى فيه كتاب أبي بكر أحمد بن موسى بن مجاهد الذي وضعه لذكر الشواذ من القراءة؛ إذ كان موسومًا به" إلى أن قال: "وإذ هو أثبت في النفس من كثير من الشواذ المحكية عن من ليس له روايته، ولا توفيقه".**

**النوع الثاني من أنواع المصادر في إيراد الشواذ في كتاب (المحتسب): الاعتماد على الروايات، أما الروايات فيصفها ابن جني بقوله: "ونحن نورد ذلك على ما رويناه، ثم على ما صح عندنا من رواية غيرنا له، لا نألو فيه ما تقتضيه حال مثله من تأدية أمانته، وتحري الصحة في روايته، ولعل ابن جني قد اعتمد أيضًا على كتاب ابن خالويه (مختصر في شواذ القرآن)، وذلك لأن ابن خالويه جمع القراءات الشاذة قبل ابن جني في هذا الكتاب، ولأن معظم قراءات المختصر هي في كتاب (المحتسب).**

**نتحدث عن موقف ابن جني من القراءات القرآنية الأخرى، وغيرها من الأحاديث وكلام العرب شعره، ونثره، والقياس، فنقول: لم يغفل ابن جني أهمية القراءات القرآنية الأخرى في احتجاجه للشواذ، فقد جعلها متواترة ومشهورة، وشاذة مصدرًا آخر من مصادره الأساسية، ولكنها لم ترقَ عنده إلى أهمية رواية حفص عن عاصم، وإن كانت في بعض الأحيان أدلة رئيسة لما يذهب إليه.**

**فلنبدأ بموقفه من القراءات المتواترة:**

**استعان أبو الفتح ابن جني ببعض القراءات المشهورة بالكشف عن بعض الشواذ، واتخذ منها حجة أساسية تتقدم الشعر أحيانًا، وأيضًا تتقدم غير الشعر من الأساليب، من ذلك موقفه من قراءة الحسن "قال هي عصاي"، فقد رأى أن كسر هذه الياء "قال هي عصايي" ضعيف، ولكنه احتج لها بقراءة حمزة "وما أنتم بمصرخي"، ثم استشهد لها أيضًا ببيت من الشعر، وغالبًا ما يجعلها دلائل على ما يذهب إليه، من ذلك موقفه من قراءة يحيى "فيرى الذين في قلوبهم مرض"، فهو يرى أن فاعل يرى مضمر دلت عليه الحال أي: فيرى رائيهم، ثم استدل عليها بقراءة العامة قال: ودل عليه أيضًا القراءة العامة أي: فترى أنت يا محمد، أو يا حاضر الحال الذين في قلوبهم مرض يسارعون في ولاء المشركين ونصرهم.**

**كما أنه قد يقتصر في استدلاله على معنى القراءة دون وجهها النحوي، وذلك لإيمانه بتلاقي معاني القراءات فيما يريده التنزيل، فقد ذهب في قراءة السلمي "وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم" إلا أن القراءة المشهورة تلاقيها في المعنى، قال: "وشاهده في المعنى قراءة الكافة، ألا ترى أن الشركاء هم المزينون لا محالة" يريد أن كلمة "شركاؤهم" فاعل لفعل محذوف تقديره زينه شركاؤهم، واستشهد أيضًا ابن جني بمعاني كثيرة من المشهورات، يدل على ذلك قراءة الجماعة وشاهد القراءة الظاهرة، وغير ذلك من العبارات.**

**فالقراءة المتواترة عند ابن جني حجة للقراءة الشاذة، ودليل على كثير من معانيها، وهذا يعود عند أبي الفتح إلى الصلة القوية التي تربط بين القراءتين، وإلى تلاقيهما عند معنى التنزيل، وكأنه بذلك يؤكد أن القراءات الشاذة لا تقل شأنًا في معانيها عن القراءات المتواترة التي فضلها ابن مجاهد.**

**ثانيًا: موقفه من القراءات الشاذة:**

**لقد جعل ابن جني أيضًا بعض القراءات الشاذة ركنًا من أركان احتجاج، فاستدل بما هو في حاجة إلى الاستدلال، وهو يصدر عن إيمان عميق بقوة الشواذ، وعن قناعة بأن ما يفعله ليس إلا مؤاخاة بين الأشباه والنظائر، لا توثيقًا للشواذ، أو تصحيحًا؛ فقد كان بعض ما احتج به من الشواذ مما احتج له، وبعضها الآخر غريبًا عن اختياراته، وكان بعضها قراءات توافق رسم المصحف، وبعضها الآخر حروفًا مخالفة.**

**وقد استطاع ابن جني أن يؤلف بين هذه القراءات جميعًا على تباعد صورها، واختلاف مواقعها غير أنه أوضح هذا التأليف ما كان في بعضها من علاقة جدلية؛ حيث تفسر إحداهما الأخرى، وترتبط معها ارتباطًا لا فكاك فيه، ومثال ذلك قراءة عيسى الثقفي "وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدُنَّ في الأرض مرتين" التي ربطها بقراءة ابن عباس "لتفسدن" قال: "إحدى هاتين القراءتين شاهدة للأخرى؛ لأنهم إذا أفسدوا فقد فسدوا".**

**وقد يغير أبو الفتح موقع القراءة الشاذة من قراءة تحتاج إلى استدلال إلى قراءة يستدل بها على أخرى من جنسها، وهذا ما فعله في قراءة بعضهم "إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلًا ما بعوضة"، لقد احتج لحذف العائد هو فيها بقراءة "ثم آتينا موسى الكتاب تمامًا على الذي أحسن"، ثم عاد فاحتج بها بقراءة أبي رجاء "وإن كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا"، وقد يستدل بالقراءة الشاذة على وجه من وجوه الشواذ من غير أن يكون مضطرًّا إلى هذا الاستدلال، أو بل يأتي به عاضدًا حججه الأخرى، ففي قراءة ابن مسعود "فوجدا فيها جدارا يريد لينقض"، ذ ذهب إلى أنه يجوز أن يكون اللام زائدة، وأن مضمرة بعدها، وذلك إذا احتججنا بقراءة النبي "يريد أن يُنقض".**

**وكان أبو الفتح يقدم هذه الشواذ في الاحتجاج على الشعر، ويلجأ إليها أولًا إن وجدت، ثم يعطف عليها بعض الأساليب الأخرى، نذكر من ذلك موقفه من قراءة أبي جعفر "إن كانت إلا صيحة واحدة" فقد استشهد لتأنيث الفعل الذي حضر فاعله بـ"إلا" فيه بقراءة الحسن "فأصبحوا لا ترى إلا مساكنهم"، ثم عطف عليها قول ذي الرمة:**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **برى النخر والأجراز ما في عروضها** | **\*** | **فما بقيت إلا الصدور الجراشع** |

**من كل هذا يتضح لنا ثقة ابن جني بالقراءات المشهورة والشاذة، وعودته إليها كلما أحوجه المقام، وهي ثقة عالية لا تقل عن ثقته بقراءة حفص.**

**المراجع والمصادر**

1. **(المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها)**

**أبو الفتح عثمان بن جني، بتحقيق علي النجدي ناصف وزميليه، القاهرة، طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، 1994م**

1. **(مرشد الأعزة في بيان موقف العلماء من القراءات الشاذة)**

**عبد الكريم إبراهيم صالح، دار المحدثين, 2006م**

1. **)إعراب القراءات الشواذ)**

**أبو البقاء العكبري، بتحقيق محمد السيد أحمد عزوز، عالم الكتب, 1996م**

1. **(الاختلاف بين القراءات)**

**أحمد البيلي، بيروت، دار الجبل، 1988م**

1. **(القراءات الشاذة وتوجيهها النحوي)**

**محمود أحمد الصغير، بيروت، دار الفكر المعاصر, 1999م**

1. **(كتاب المصاحف)**

**أبو بكر عبد الله بن أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، بيروت، دار الكتب العلمية, 1985م**

1. **(مختصر في شواذ القران من كتاب البديع أو القراءات الشاذة)**

**الحسين بن احمد ابن خالويه، دار الهجرة، 1934م**

1. **(القراءات القرآنية في بلاد الشام)**

**حسين عطوان، بيروت، دار الجيل, 1982م**

1. **(القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب)**

**عبد الفتاح القاضي، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، 1975م**

1. **(اليزيدي القارئ النحوي دراسة نحوية قرآنية)**

**محمد أحمد علي سحلول ، دار الحسين الإسلامية, 1989م.**

1. **(شواهد القراءات بين ابن هشام وابن عقيل، دراسة نحوية تحليلية)**

**محمد أحمد علي سحلول، دار الطباعة المحمدية, 1993م**

1. **(قراءة أبي السمال العدوي)**

**حمدي عبد الفتاح مصطفى خليل، الجريس، القاهرة, 2000م**

1. **(قراءة عبد الله بن مسعود مكانتها ومصادرها إحصاؤها)**

**محمد أحمد خاطر، دار الاعتصام, 1990م**